

روح المعاني

إليها أشد وهي جامعة لأصول الألوان الثلاثة على ما بينها لإمام يشير إلى أنها مما لا تكاد تحيط بحقيقتها العبارات وقد يقال غير ذلك فتأمل وينبغي على القول بتفضيل الأخيرتين وكونهما لطائفة غير الطائفة المشار إليهم بمن خاف أن لا يفسر من خاف بمن له شدة الخوف بحيث يختص بأفضل المؤمنين وأجلهم أو يقال إنهما مع الأوليين لمن خاف مقام ربه ويكون المعنى ولمن خاف مقام ربه أيضا جنتان صفتها كيت وكيت من دون تينك الجنتين وعليه قيل : جنتان عطف على جنتان قبله ومن دونهما في موضع الحال وذهب بعضهم إلى أن هاتين الجنتين سواء كانتا أفضل من الأوليين أم لا لمن خاف مقام ربه D فلهيوم القيامة أربع جنات .

قال الطبرسي : والأخيرتان دون الأوليين أي أقرب إلى قصره ومجالسه ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة إلى جنة على ما هو معروف من طبع البشر من شهوة مثل ذلك وهو أبعد عن الملل الذي طبع عليه البشر وأنت تعلم أن الآية تحتل ذلك احتمالا لظاهر الكن ما تقدم من حديث أبي موسى رضي الله تعالى عنه يأباه فإذا صح ولو موقوفا إذ حكم مثله حكم المرفوع لم يكن لنا العدول عما يقتضيه وقد روي عنه أيضا حديث مرفوع ذكره الجلال السيوطي في الدر المنثور يشعر بأن الجنان الأربع هي جنات الفردوس .

وأخرج عند أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جنات الفردوس أربع جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن والظاهر على هذا أنه يشترك الألوف في الجنة الواحدة من هذه الجنات ومعنى قوله تعالى : ولمن خاف الخ عليه مما لا يخفى ثم إن قاصرات الطرف إن كن من الإنس فهن أجل قدرا وأحسن منظرا من الحور المقصورات في الخيام بناء على أنهن النساء المخلوقات في الجنة .

فقد جاء من حديث أم سلمة قلت يا رسول الله : أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين قال : نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الطهارة على البطانة قلت : يا ربم ذاك قال : بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الوجوه خضر الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وأمشاطنهن الذهب يقلن ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا ولا ونحن الناعمات فر نبأس أبدا طوبى لمن كنا له وكان لنا إلى غيره من الأخبار ويكون هذا مؤيدا للقول بتفصيل الجنتين الأوليين على الأخيرتين ولعله إنما تقدم سبحانه ذكر الأتقاء أولا على ذكر النساء لأنه D ذكر في صدر الآية الخوف حيث قال سبحانه : ولمن خاف مقام ربه

جنتان فناسب التعجيل بذكر ما يشعر بزواله إشعارا ظاهرا وهو الإتكاء فإنه من شأن الآمنين
وأخر سبحانه ذكره ثانيا عن ذكرهن لعدم ما يستدعي التقديم وكونه مما يكون للرجل عادة
بعد فراغ ذهنه عما يحتاجه المنزل من طعام وشراب وقينة تكون فيه وإذا قلنا : إن الحور
كالجواني في المنزل كان أمر التقديم والتأخير أوقع وقال الإمام في ذلك : إن أهل الجنة
ليس عليهم تعب وحركة فهم متنعمون دائما لكن الناس في الدنيا على أقسام منهم من يجتمع
مع أهله اجتماع مستوفز وعند قضاء وطره يغتسل وينتشر في الأرض للكسب ومنهم من
يكومتردد في طلب الكسب وعند تحصيله يرجع إلى أهله ويستريح عما لحقه من تعب قبل قضاء
الوطر أو بعده فـ D قال في أهل الجنة : متكئون قبل اجتماعهم بأهاليهم متكئون
بعد الاجتماع ليعلم أنهم دائمون على السكون ولا يخفى أن هذا على ما فيه لا يحسم السؤال إذ
لقائل